مثل كاد ولو وما يجرى مجراها كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
اذ لا يستحيل فى العقل ان البرق يخطف الابصار لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه
الاغراق هنا جمالاً الا بقرينة يكاد واقتران هذه الجملة بها هو الذى صرفها الى الحقيقة
فانقلبت من الامتناع الى الامكان ومن شواهد تقريب نوع الاغراق بلو قول
زهير لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم باولهم او مجدهم قعدوا
فاقتران هذه الجملة ايضا بامتناع لو من قعود القوم فوق الشمس هو الذى اظهر بهجة
شمسها فى باب الاغراق ومما استشهدوا به على هذا النوع بغير اداة التقريب
قول امرئ القيس تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالى
وبين المكانين بعد ايام فان اذرعات من الشام والنار التى تنورها من اذرعات كانت
بيثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد اثبتوا هذا الشاهد فى باب الاغراق
لانهم قالوا لا يمتنع عقلا ان ترى النار من بعد هذه المسافة وان لا يكون ثم حايل
من جبل او غيره من عظم جرم النار ولكن ذلك ممتنع عادة هذا ان جعلنا تنورتها
نظرت الى نارها حقيقة واما ان جعلناه بمعنى توهمت نارها وتخيلتها فى فكرى
فلا يكون فى البيت اغراق ومثله قول ابى الطيب المتنبى فى صبابته
روح تردد فى مثل الخلال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا اننى رجل لولا مخاطبتى اياك لم ترنى
وقالوا هنا ايضا لا يمتنع عقلا ان ينحل الشخص حتى يصير مثل الخلال ولا يستدل عليه
الا بالكلام اذ الشئ الدقيق اذا كان بعيدا لا يرى بخلاف الصوت ولكن صيرورة الشخص
فى النحول الى مثل هذه الحال ممتنع عادة ولعمرى ان الشيخ شرف الدين ابن الفارض ضم
خصر هذا المعنى الدقيق ووشحه بنفايس العقود حيث قال
كانى هلال الشك لولا تاوهى خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى قلت
اذا قابلنا نحول المتنبى بهلال الشك الذى ابرزه ابن الفارض لم تبعد المقاربة ولكن
من قابل قول المتنبى اننى رجل لولا مخاطبتى بقول الشيخ شرف الدين ابن الفارض
فى بيته كانى هلال الشك لولا تاوهى لا بد ان يقابله الله على ذلك وابن لطف لولا
تاوهى من ثقل لولا مخاطبتى والفرق بين مخاطبة الرجل وتاوه هلال الشك لا يخفى
على حذاق الادب انتهى ومنه قول بعضهم
قد سمعنا انينه من بعيد فاطلبوا الشخص حيث كان الانين قلت ما

برح

برح طاير فكرى يحوم على ورد هذا المعنى الذى حصلت فيه الموارده على ان الشخص لا
يرى لشدة نحوله الا بانين او تاوه واريد ان ارشحه بنكتة الى ان قلت من قصيدى
التى عارضت بها كعب بن زهير وامتدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم
وفوق طرس مشيبى ارخوا تلفى وذلك الطرس فوق الراس محمول
وقد تجاوز جسمى حد كل ضنا وها انا اليوم فى الاوهام تخييل
وقد تقدم وتقرر ان اداة المقاربة ما استعملت فى الاغراق لا لتنقله من الامتناع
الى الامكان وهذا الذى اوردته بغير اداة المقاربة هنا ان كان يبعد عادة لا يبعد
عقلا ومما استشهدوا به على نوع الاغراق بلو التى يمكن الاغراق بها عقلا ويمتنع
عادة قول القايل ولو ان ما بى من جوى وصبابة على جمل لم يبق فى النار كافر
يريد انه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا
اذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة وهذا غاية فى الاغراق واورد الشيخ شهاب
الدين ابو جعفر المغربى الاندلسى رحمه الله تعالى فى شرحه الذى كتبه على بديعية صاحبه
شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى على هذا البيت حكاية لطيفة وهى ان ابليس تعرض
لبعض الاوليا فلم ينل منه غرضا فقال له الولى من اشد عليك العابد الجاهل او
العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف واما العابد الجاهل فهو فى قبضتى
ادخل عليه فى دينه من حيث شيت وانا اريك ذلك فانطلق به الى اعبد الجهال فى ذلك
الزمان فطرق عليه الباب فخرج اليهما فقال له ابليس جيت استفتيك هل الله قادر
على ان يدخل الجمل فى سم الخياط ام لا فتوقف وتحير وغلق عليه الباب فقال ابليس للولى
ها هو كفر بالشك فى قدرة الله تعالى ثم انطلق به الى العالم المسرف على نفسه فطرق
عليه الباب وكان فى القايلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذى يضرب بابى فى
القايلة وقد قال عليه الصلاة والسلام قيلوا فان الشياطين لا تقيل فقال ابليس
ها هو قد عرفنى قبل رويتى فلما خرج قال له ابليس هل فى قدرة الله ان يدخل الجمل فى سم
الخياط فقال له اتشك فى قدرته على ان يوسع سم الخياط حتى يدخل الجمل او يرقق الجمل
حتى يصير كالخيط فيدخل فى سم الخياط فانصرفا وقال ابليس لرفيقه معرفة هذا بالله
تمحو ذنوبه وحاله خيرا من حال العابد الجاهل بالله انتهى وبيت الشيخ
صفى الدين الحلى فى بديعيته على نوع الاغراق
فى معرك لا تثير الخيل عثيره مما تروى المواضى تربه بدم

Copyright © King Saud University